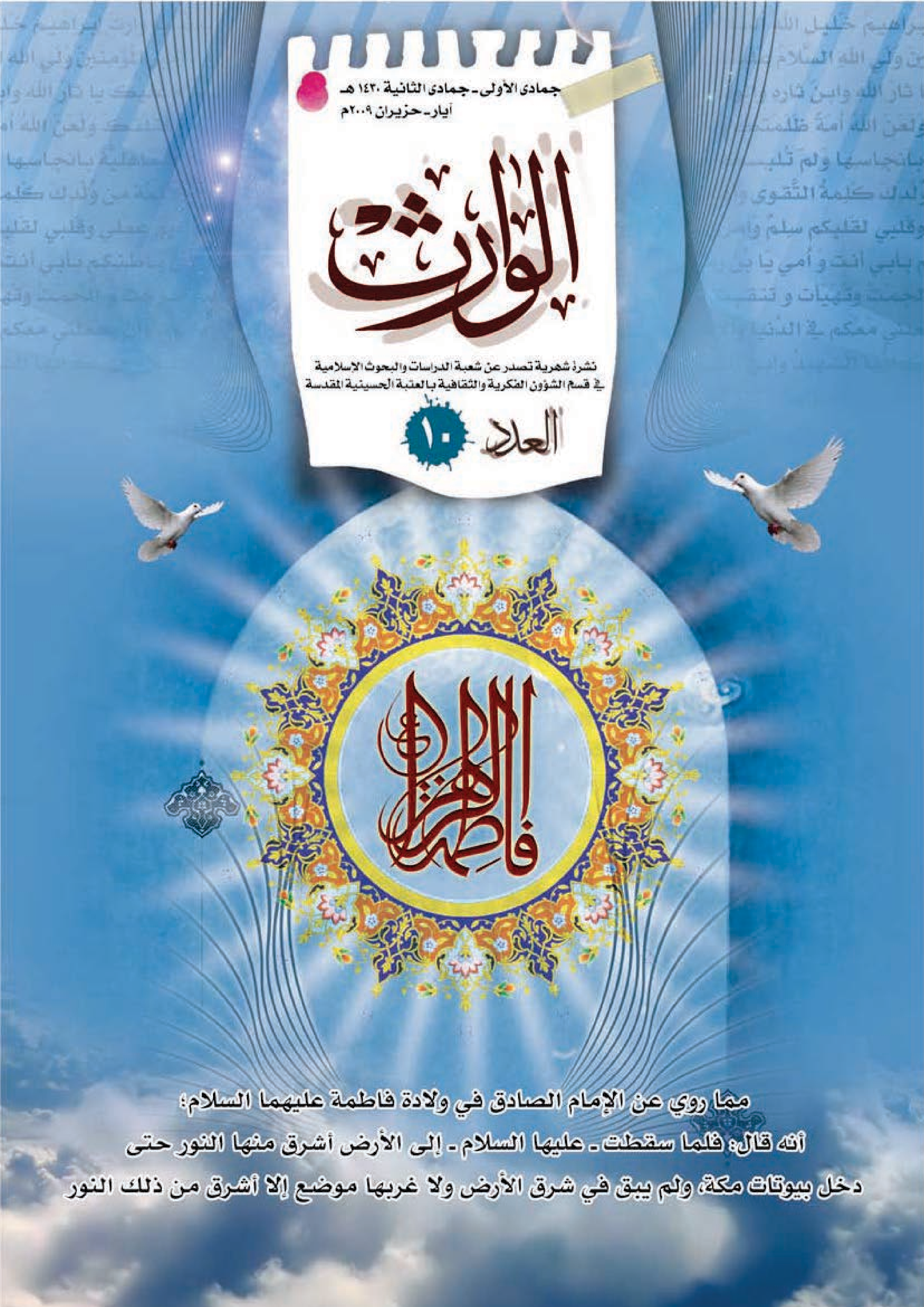
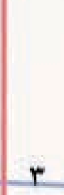

جمادى الأولى - جمادى الثانية ١٤٣٠ هـ
آيار - حزيران ٢٠٠٩م
الوارث
نشرة شهرية تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية بالعتبة الحسينية المقدسة
العدد ١٠
فاطمة الزهراء
مما روي عن الإمام الصادق في ولادة فاطمة عليهما السلام:
أنه قال: فلما سقطت - عليها السلام - إلى الأرض أشرق منها النور حتى
دخل بيوتات مكة، ولم يبق في شرق الأرض ولا غربها موضع إلا أشرق من ذلك النور







صفحات الوارث



إعداد
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الالكتروني
محمد رزاق صالح
كرار عبدالأمير السلامي

تصميم الغلاف
السيد علي ماميثة

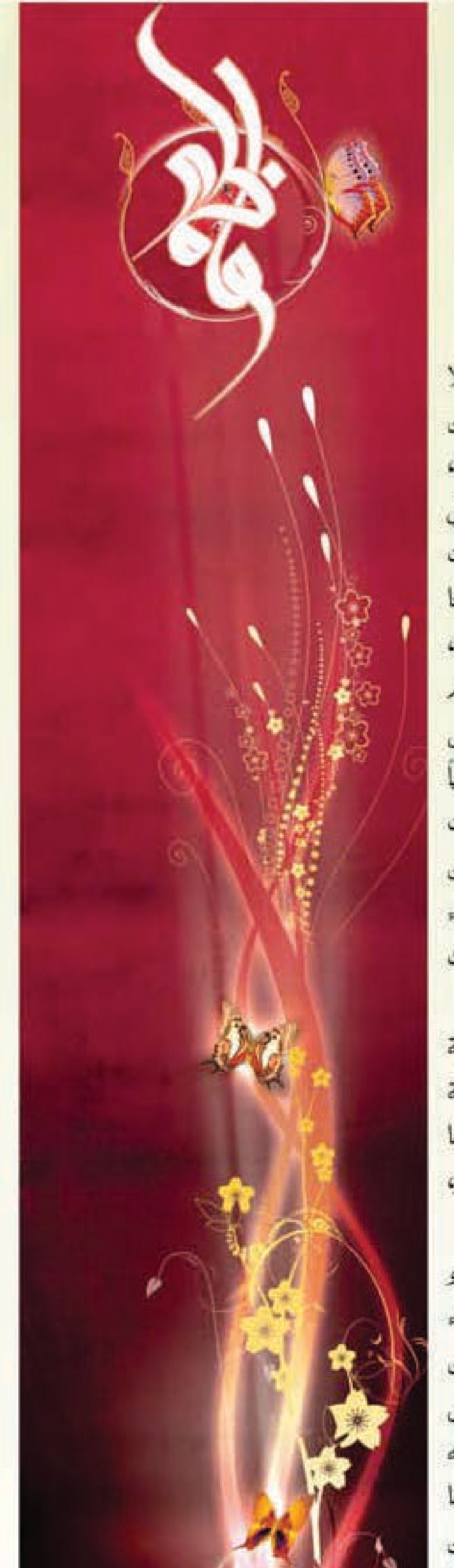
التصميم والإخراج الفني
أحمد المؤذن

الوارث

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب
والوثائق ـ وزارة الثقافة : ١٢١١



هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ ـ داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org



كيف كانت ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام؟

عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قلت له: كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام؟

قال: إن خديجة لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرها نسوة قريش، فكن لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمها حذرا عليه. فلما حملت بفاطمة عليها السلام كانت فاطمة تحدثها من بطنها، وتصبرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله، فدخل صلى الله عليه وآله عليها يوما، فسمع خديجة تحدث فاطمة.

فقال لها: يا خديجة من تحدثين؟.

قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني.

قال: يا خديجة هذا جبرئيل يبشرني بأنها أنثى، وأنها النسل الطاهرة الميمونة وأن الله سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه.

فلم تزل خديجة على ذلك إلى أن حضرت ولادتها فوجهت إلى نساء قريش: أن تعالين لتلين مني ما تلي النساء من النساء.

فأرسلن إليها: عصيتنا، ولم تقبلي قولنا وتزوجت محمداً، يتيم أبي طالب، فقيرا لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئا . فاغتمت خديجة لذلك . فبينا هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة طوال كأنهن من نساء بني هاشم، ففزعت منهن لما رأتهن، فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة، فإنا رسل ربك إليك ونحن أخواتك: أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم - وهي رفيقتك في الجنة - وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم بنت عمران - أخت موسى بن عمران - بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء.

فجلست واحدة عن يمينها، والأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة طاهرة مطهرة. فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة، ولم يبق في شرق الأرض، ولا غربها موضع إلا أشرق من ذلك النور، ودخل عشر من الحور العين بيد كل واحدة طشت من الجنة، وإبريق من الجنة، وفي الإبريق ماء من الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها، فغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خرقتين بيضاوين أشد بياضا من اللبن، وأطيب ريحا من المسك والعنبر، فلفتها بواحدة وقنعتها بالثانية، ثم استنطقتها فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادتين فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن أبي محمداً رسول الله، سيد الأنبياء، وأن بعلي علياً سيد الأوصياء، وولدي سادة الأسباط، ثم سلمت عليهن وسمت كل واحدة باسمها، وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشر أهل السماء بعضهم بعضا بولادة فاطمة عليها السلام وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك.

وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مباركة زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقمتها ثديها، وكانت فاطمة عليها السلام تنمو في اليوم كما ينمو الصبي في الشهر، وتنمو في الشهر كما ينمو في السنة[1] .

وهذا الحديث صحيح من حيث الإسناد وهو دليل على أفضلية فاطمة عليها السلام على النساء الأربع اللاتي هن من سيدات نساء العالمين، لأنهن أمرن بخدمتها، والمخدوم أفضل من الخادم، وفي الحديث دلالة أيضا على علو مرتبتها صلوات الله عليها حتى على الحور العين لقيامهن على خدمتها أيضا. وفي الحديث أيضا إشارة إلى كمالها من حين ولادتها، وكمال توحيدها ويقينها وعرفانها وإيمانها بربها جل وعلا، وكذلك يثبت الحديث معرفتها بأسماء أولادها وأشخاصهم الذين سيعتلون منصب الإمامة بعد أبيهم أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق، ص ٦٩٠ ـ ٦٩٢، دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري، ص ٧٧ ـ ٧٩.



الحسين عليه السلام يتمنى خدمة المهدي عجل الله فرجه

عن أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام، أنه سُئل: هل ولد المَهْديُّ عليه السلام؟ قال: «لا، ولو أدركته لخدمته أيام حياتي».

(عقد الدرر: ١٦٠).

للمهدي عجل الله فرجه غيبتان

عن أبي عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام) أنه قال: «لِصاحبِ هذا الأمر ـ يعني المهدي (عليه السلام) ـ غيبتان: إحداهما تطول حتى يقول بعضهم: مات، وبعضهم: قتل، وبعضهم: ذهب، ولا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره، إلا المولى الذي يلي أمره».

(عقد الدرر: ١٣٤).

استغناء الناس في زمن المهدي عجل الله فرجه

عن الحسين بن علي عليهما السلام أنه قال: «تواصلوا وتباروا، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ليأتين عليكم وقت لا يجد أحدكم لديناره ولا لدرهمه موضعا».

يعني لا يجد عند ظهور المهدي عجل الله فرجه موضعا يصرفه فيه! لاستغناء الناس جميعاً بفضل الله تعالى، وفضل وليه المهدي عجل الله فرجه.

(عقد الدرر: ١٧١).

كل الخير في زمن المهدي عجل الله فرجه

أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدّثنا القاسم محمد بن الحسن بن حازم، قال: حدثنا عبيس بن هشام، عن عبد الله بن جبلة، عن مسكين الرحال، عن علي بن أبي المغيرة، عن عميرة بنت نفيل، قالت: سمعت الحسين بن علي عليه السلام يقول: «لا يكون الأمر الذي تنتظرونه حتى يبرأ بعضكم من بعض، ويتفل بعضكم في وجوه بعض، ويشهد بعضكم على بعض بالكفر، ويلعن بعضكم بعضا».

فقلت له: ما في ذلك الزمان من خير؟.

فقال الحسين عليه السلام: «الخير كله في ذلك الزمان، يقوم قائمنا، ويدفع ذلك كله».

(الغيبة للنعماني: ص٢٠٥، ح٩. عقد الدرر: ٦٣).

خروج المهدي عجل الله فرجه شابا موفقا

عن أبي عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام)، أنه قال: «لو قام المهدي لأنكره الناس؛ لأنه يرجع إليهم شابا موفقا، وإن من أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شابا، وهم يحسبونه شيخا كبيرا».

(عقد الدرر: ٤١. إثبات الهداة: ج٧، ص٢١٥، ح١١٩)

المهدي عجل الله فرجه والصابرون في غيبته

حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هشام، عن

أبيه، عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: أخبرنا وكيع بن الجراح، عن الرّبيع بن سعد، عن عبد الرّحمن بن سليط، قال: قال الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام:

«منا اثنا عشر مهديا، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو القائم بالحق، يحيي الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحق على الدين كله، ولو كره المشركون، له غيبة يرتد فيها أقوام ويثبت فيها على الدين آخرون، فيؤذون ويقال لهم: «وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ»، (سورة يس، الآية: ٢٩) أما إن الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله».

(كمال الدين: ج١، ص١٧ــ٣، ح٣. عيون أخبار الإمام الرضا (عليه السلام): ج١، ص٦٨).

سيرة المهدي عليه السلام مع شيعته

عن الحسن بن هارون، بيّاع الأنماط، قال: كنتُ عند أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام جالسا، فسأله المعلّى بن خنيس: أيسير المهدي عليه السلام إذا خرج بخلاف سيرة علي عليه السلام؟.

قال عليه السلام: «نعم، وذلك أنّ عليا عليه السلام سار باللين والكف، لأنه علم أن شيعته سيظهر عليهم من بعده، وأن المهدي إذا خرج سار فيهم بالبسط والسبي، وذلك أنه يعلم أن شيعته لن يظهر عليهم من بعده أبدا».

(عقد الدرر: ٢٢٦، ولكن لا شك في أنّ الراوي (المعلّى بن خنيس) من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ولا يمكن روايته عن الحسين عليه السلام).

انتقام المهدي عليه السلام من الظالمين

قال الحرّ العاملي حدّثنا الحسن المحبوب، عن مالك بن عطية، عن ثابت بن أبي صفية دينار، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث:

«أنّ الحسين عليه السلام قال:

«يظهر الله قائمنا فينتقم من الظالمين».

فقيل له: يا بن رسول الله، من قائمكم؟.

قال:

«السابع من ولد ابني محمد بن علي، وهو الحجة بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابني، وهو الذي يغيب مدة طويلة ثم يظهر ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما».

(إثبات الهداة: ج٧، ص١٣٨، ح٦٨١).

إصلاح أمر المهدي عليه السلام في ليلة واحدة

عن جعفر الصادق عن أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال: قال الحسين بن علي عليهما السلام:

«في التاسع من ولدي سُنّة من يوسف وسُنّة من موسى بن عمران عليهما السلام، وهو قائمنا أهل البيت، يُصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة».

(كمال الدين: ج١، ص٣١٧، ح١).

سنة الأنبياء عليهم السلام في المهدي عليه السلام

في رواية عن الحسين عليه السلام قال:

«في القائم منا سُنن من الأنبياء عليهم السلام: سُنّة من نوح، وسُنّة من إبراهيم، وسُنّة من موسى، وسُنّة من عيسى، وسُنّة من أيوب وسُنّة من محمد صلى الله عليه وآله.

فأما من نوح: فطول العمر.

وأمّا من إبراهيم: فخفاء الولادة واعتزال الناس.

وأما من موسى: فالخوف والغيبة.

وأما من عيسى: فاختلاف الناس فيه.

وأما من أيوب: فالفرج بعد البلوى.

وأما من محمد ص: فالخروج بالسيف».

(علم اليقين: ج٢، ص٧٩٣).

كلمات الإمام الحسين عليه السلام، إعداد معهد تحقيقات باقر العلوم: ص٦٦٠ـ٦٦٧.





معنى سبب النزول

نزل القرآن الكريم لهداية الناس وتنوير أفكارهم وتربية أرواحهم وعقولهم، وكان في نفس الوقت يحدّد الحلول الصحيحة للمشاكل التي تتعاقب على الدعوة في مختلف مراحلها، ويجيب على ما هو جدير بالجواب من الأسئلة التي يتلقاها النبي من المؤمنين أو غيرهم، ويعلّق على جملة من الأحداث والوقائع التي كانت تقع في حياة الناس تعليقاً يوضّح فيه موقف الرسالة من تلك الأحداث والوقائع كما ذكرنا آنفاً.

وعلى هذا الأساس كانت آيات القرآن الكريم تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: الآيات التي نزلت لأجل الهداية والتربية والتنوير، دون وقوع سبب معين في عصر الوحي أثار نزولها؛ كالآيات التي تصوّر قيام الساعة، ومشاهد القيامة، فإن الله تعالى أنزل هذه الآيات لهداية الناس، من غير أن تكون إجابة عن سؤال، أو حلاً لمشكلة طارئة، أو تعليقاً على حادثة معاصرة.

والقسم الآخر: الآيات التي نزلت بسبب مثير، وقع في عصر الوحي، واقتضى نزول القرآن فيه، كمشكلة تعرض لها النبي والدعوة، وتطلبت حلاً أو سؤالاً استدعى الجواب عنه، أو واقعة كان لابد من التعليق عليها، وتسمى هذه الأسباب التي استدعت نزول القرآن بأسباب النزول، فأسباب النزول: هي أمور وقعت في عصر الوحي واقتضت نزول الوحي بشأنها.

وذلك من قبيل ما وقع من بناء المنافقين لمسجد ضرار بقصد الفتنة، فقد كانت هذه المحاولة من المنافقين مشكلة تعرضت لها الدعوة وأثارت نزول الوحي بشأنها؛ إذ جاء قوله تعالى: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ». (سورة التوبة، الآية: ١٠٧)

وكذلك سؤال بعض أهل الكتاب مثلاً عن الروح من النبي، فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يجاب عنه في القرآن الكريم فنزل قوله تعالى: «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا». (سورة الإسراء، الآية: ٨٥).

وبهذا أصبح ذلك السؤال من أسباب النزول.

فهذه قضايا وقعت في عصر الوحي، وكانت داعية إلى نزول الوحي بشأنها، فكانت لأجل ذلك من أسباب النزول.

الفائدة في معرفة السبب

ولمعرفة أسباب النزول أثر كبير في فهم الآية، والتعرف على أسرار التعبير فيها، لأن النص القرآني المرتبط بسبب معين للنزول، تجيء صياغته وطريقة التعبير فيه وفقاً لما يقتضيه ذلك السبب، فما لم يعرف ويحدد قد تبقى أسرار الصياغة والتعبير غامضة.

ومثال ذلك قوله تعالى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا».

(سورة البقرة، الآية: ١٥٨)

فإن الآية ركّزت على نفي الإثم والحرمة عن السعي بين الصفا والمروة، دون أن تصرّح بوجوب ذلك، فلماذا اكتفت بنفي الحرمة، دون أن تعلن وجوب السعي؟، إن الجواب على هذا السؤال يمكن معرفته عن طريق ما ورد في سبب نزول الآية من أن بعض الصحابة تأثّموا من السعي بين الصفا والمروة، لأنه من عمل الجاهلية، فنزلت الآية الكريمة، فهي إذن بصدد نفي هذه الفكرة من أذهان الصحابة، والإعلان عن أن الصفا والمروة من شعائر الله، وليس السعي بينهما من مخلّفات الجاهلية ومفترياتها.

تعدد الأسباب والمنزل واحد والعكس

قد يتفق وقوع عدة أشياء في عصر الوحي كلها تتفق في إشارة واحدة وتستدعي نزول القرآن بشأنها، كما إذا تكرر السؤال ـ من النبي مثلاً ـ عن مشكلة واحدة، فإن كل سؤال يقتضي نزول الوحي بجوابه، ويقال في هذه الحالة إن الأسباب متعددة والمنزل واحد،

ومن هذا القبيل ما يروى من أن النبي سئل مرتين، عمّن وجد مع زوجته رجلاً كيف يصنع، سأله عاصم بن عدي مرة، وسأله عويمر مرة أخرى، واتفق في مرة ثالثة، أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي بشريك بن سمحاء، فكانت هذه أسباباً متعددة تستدعي نزول الوحي، لتوضيح موقف الزوج من زوجته إذا اطّلع على خيانتها، وما إذا كان من الجائز له أن يقذفها ويتهمها بدون بينة، أو لا يجوز له ذلك إلا ببينة، فإن اتهم بدون بينة استحق حد القذف، كما هو شأن غير الزوج إذا قذف امرأة أخرى، ولأجل ذلك نزل قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ».

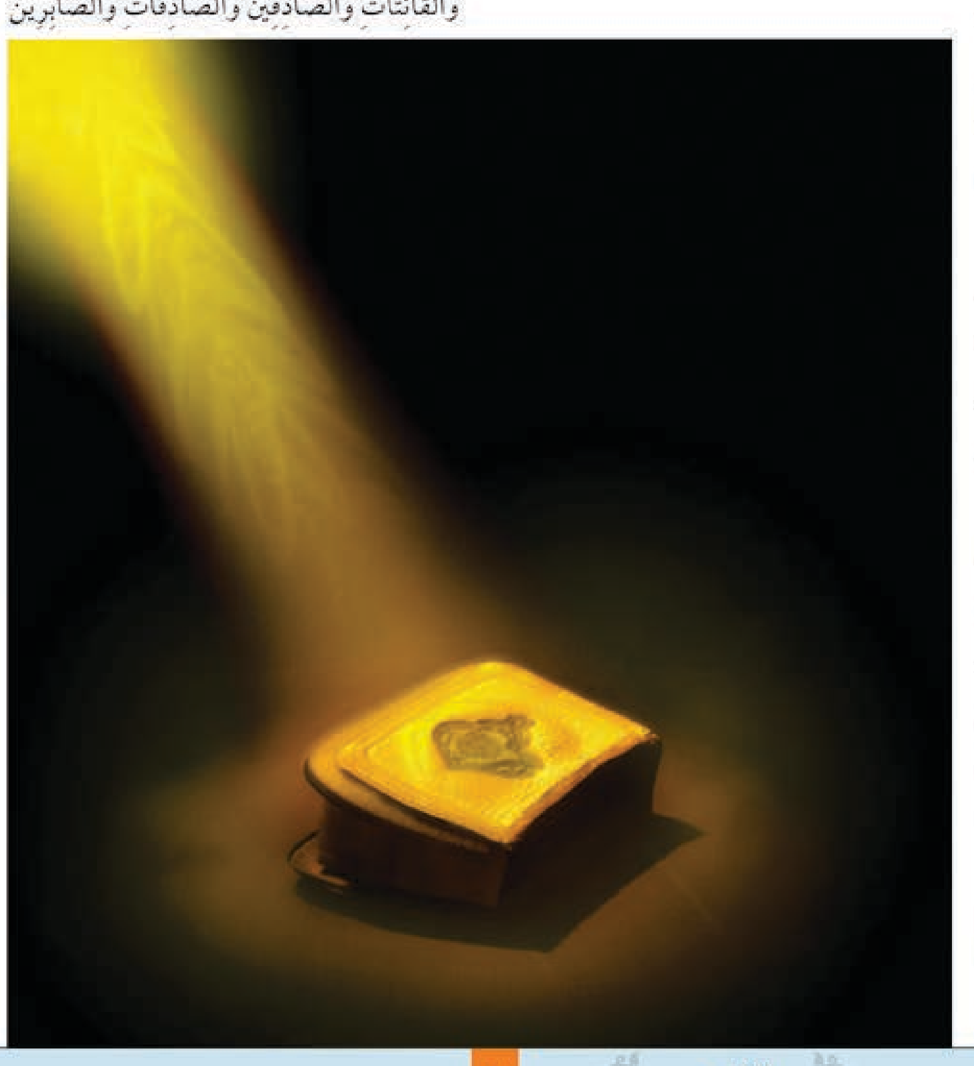
(سورة النور، الآية: ٦) فكان السبب متعدداً والمنزل واحداً.

وفي حالة تعدد السبب قد يوجد فاصل زمني كبير، بين أحد السببين والآخر، فيؤدي السبب الأول إلى نزول الآية فعلا، ثم يتجدد نزولها حينما يوجد السبب الثاني بعد ذلك بمدة، فيكون السبب متعدداً والنزول متعدداً، وإن كانت الآية النازلة في المرتين واحدة.

ويقال: إن سورة الإخلاص من هذا القبيل؛ إذ نزلت مرتين، أحداهما: بمكة جواباً للمشركين من أهلها، والأخرى: بالمدينة، جوابا لأهل الكتاب الذين جاورهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة.

وكما يتعدد السبب والمنزل واحد، كذلك قد يتفق كون السبب واحداً لآيات متفرقة، فقد روي أن أم سلمة قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء؟ فنزل قوله تعالى: «فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ». (سورة آل عمران، الآية: ١٩٥).

ونزل قوله تعالى: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ



وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا». (سورة الأحزاب، الآية: ٣٥).

فهاتان آيتان متفرقتان نزلتا بسبب واحد، أدرجت إحداهما في سورة آل عمران، والأخرى في سورة الأحزاب، وبذلك كان السبب في النزول واحداً، ـ وهو حديث أم سلمة مع النبي ـ والمنزل متعدداً.

وعلى هذا الأساس يجب أن لا نسرع إلى الحكم بالتعارض بين روايتين تتحدثان عن أسباب النزول، إذا ذكرت كل منها سبباً لنزول آية يغاير السبب الذي ذكرته الرواية الأخرى لنزول نفس تلك الآية، أو إذا تحدثت الروايتان عن سبب واحد، فذكرت كل منهما نزول آية بذلك السبب، غير الآية التي ربطتها الرواية الأخرى به، لأن من الممكن في بعض الموارد فهم الاختلاف بين الروايتين، والتوفيق بينهما على أساس إمكان تعدد سبب النزول لآية واحدة، أو تعدد الآيات النازلة بسبب واحد، فلا نجد بين الروايتين تعارضاً على هذا الأساس.

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

إذا نزلت الآية بسبب خاص وكان اللفظ فيها عاماً، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا يتقيد بالمدلول القرآني في نطاق السبب الخاص للنزول، أو الواقعة التي نزلت الآية بشأنها، بل يؤخذ به على عمومه، لأن سبب النزول يقوم بدور الإشارة إلى التخصيص، وقد جرت عادة القرآن أن ينزل بعض أحكامه وتعليماته وإرشاداته، على أثر وقائع وأحداث تقع في حياة الناس وتتطلب حكماً وتعليماً من الله، لكي يجيء البيان القرآني أبلغ تأثيراً وأشد أهمية في نظر المسلمين، وإن كان مضمونه عاماً شاملاً، فآية اللعان مثلاً، تشرّع حكماً شرعياً عاما، لكل زوج يتهم زوجته بالخيانة، وإن نزلت في شأن هلال بن أمية، وآية الظهار تبين حكم الظهار بصورة عامة، وإن كان نزولها بسبب سلمة بن صخر.

وعلى هذا الأساس اتفق علماء الأصول على أن المتبع هو مدى عموم النص القرآني وشمول اللفظ فيه، وإن سبب النزول مجرد سبب مثير لنزول الحكم العام، وليس تحديداً له في نطاقه الخاص، لأن مجرد نزول حكم اللعان عقيب قصة هلال بن أمية مثلا، لا يدل إطلاقاً على أن الحكم يختص به، ولا يبطل عموم اللفظ وشمول النص لسائر الأزواج.

وقد جاءت نصوص عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تعزز هذا المعنى وتؤيده، ففي تفسير العياشي عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال:

إن القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام، وماتوا ماتت الآية، لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين.

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال:

إن القرآن حي لم يمت، وإنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا.. فلا تكونن ممن يقول للشيء، إنه في شيء واحد.

علوم القرآن، تأليف محمد باقر الحكيم: ص٤٣ ـ ٤٨.



معاجز أمير المؤمنين عليه السلام

مسخ رجل واحراقه

عن الواقدي قال: دخلت يوما على هارون الرشيد وعنده الشافعي، ومحمد بن أبي يوسف، ومحمّد بن إسحاق، فقال للشافعي: كم تحفظ من فضائل علي (عليه السلام)؟ فقال: خمسمائة حديث، وقال لمحمد بن أبي يوسف: كم تحفظ من فضائل علي (عليه السلام)؟ قال: ألف حديث بل أزيد، وقال لأبي إسحاق: كم تحفظ من فضائل علي (عليه السلام)؟ قال: أحاديث متواترة، لولا مخافة الخليفة لذكرتها، فقال هارون: اذكرها ولا تخف، فقال: خمسة عشر ألف حديث مسند وخمسة عشر ألف حديث مرسل، فقال هارون: أُخبركم بفضيلة فيه رأيتها بعيني، ثمّ قال: كتب إليّ عامل دمشق يخبرني عن خطيب كان يشتم علياً، فطلبته وسألته عن ذلك؟ فقال: إنّي أشتمه لقتله آباءنا، فقلت له: كلّ من قتله (عليه السلام) كان بأمر من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: إذاً أبغضه أيضاً، فأمرت أن يضربوه مائة سوط، ثمّ حبسته في بيت مقفل، وكنت أُفكّر في كيفيّة قتله، فنمت فرأيت في المنام أنّ أبواب السماء انفتحت، ونزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيده كأس من الماء، فنادى: من كان من شيعة علي فليقم، فقام أربعون منهم فأسقاهم منه، ثمّ أمر بإحضار الخطيب الدمشقي، فلمّا جيء به نظر إليه علي (عليه السلام) فقال: «اللهم امسخه»، فتحوّل وجهه بصورة الكلب، فانتبهت من النوم فأمرت بإحضاره، ففتحوا باب البيت الذي فيه الخطيب فلم نجد فيه إلاّ كلباً تشبه أذنه أذن الإنسان، فقلت له: كيف رأيت عقوبة ربّك؟ فأطرق رأسه، وسالت الدموع من عينيه، قال الواقدي: فأمر الخليفة بإحضار الكلب فأرانا إيّاه، فقال الشافعي: تنحّوا عنه، لا نأمن من نزول العذاب، فلمّا ردّوه إلى البيت نزلت صاعقة فأحرقته[1].

الشمس

عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنّه قال:

قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا أبا الحسن كلم الشمس فإنّها تكلّمك. قلت: السلام عليك أيّها العبد المطيع لله عزّ وجلّ، فقالت الشمس: وعليك السلام يا أمير المؤمنين وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين، يا عليّ أنت وشيعتك في الجنّة، يا عليّ أوّل من تنشقّ الأرض عنه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم أنت، وأوّل من يحيا محمّد ثمّ أنت، وأول من يكسى محمّد ثم أنت. قال: فانكببت لله ساجداً شكراً له، فقال لي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قم يا أخي ويا حبيبي باهى الله بك أهل سماواته[2].

ومنها: عن أبي رافع قال:

رقد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على فخذ عليّ (عليه السلام) وحضر صلاة العصر، ولم يكن علي (عليه السلام) صلّى، وكره أن يوقظ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتىّ غابت الشمس، فلمّا استيقظ



قال: ما صلّيت أبا الحسن العصر؟ قال: لا يا رسول الله، فدعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فردّت الشمس على عليّ كما غابت حتّى رجعت لصلاة العصر في الوقت، فقام عليّ (عليه السلام) فصلّى العصر، فلمّا قضى صلاة العصر غابت الشمس، فإذا النجوم مشتبكة[3][4].

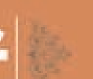
---

(١) المناقب المرتضوية: ص١٨٤، إحقاق الحق: ج٨، ص٧٥٨.

(٢) ينابيع المودة، ج١، ص٤٢٥، ح١، عن فرائد السمطين، ج١، ص١٨٤، ح١٤٧، والمناقب للخوارزمي، ص١١٣، ح١٢٣.

(٣) مناقب الإمام علي بن أبي طالب، ص٩٨، ح١٤١.

(٤) المعاجز والكرامات، تأليف الشيخ فاضل الصفار: ص٨٠ ـ ٨٣.



القسم الثالث: تربية العقل / ٢



الأساليب التربوية في نهج البلاغة

قد مر في العددين السابقين ذكر لأهم الأساليب التربوية التي يمكن استفادها من نهج البلاغة، وشرعنا في القسم الأول في ذكر الأساليب المتعلقة بالتربية البدنية، وواصلنا الحديث في القسم الثالث عن الأساليب المتعلقة بالتربية العقلية، وسنستعرض في هذا العدد ما تبقى من تلك الأساليب المتعلقة بالتربية العقلية مما لم نذكره في القسم السابق، وهي كالآتي:

١ ـ التدارس والتشاور

من الأساليب الّتي دعا إليها الإمام (عليه السلام)، في مجال التّنمية العقليّة: مشاورة الآخرين ومناقشتهم من أجل الاستفادة من علومهم وتجاربهم. ويوصي بذلك مالكاً الأشتر قائلاً: (وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به النَّاس قبلك)[١] وكان يُرغّب أصحابه في المشورة قائلاً: ((من استبد برأيه هلك، ومن شاوَرَ الرِّجال شاركها في عقولها)[٢].

وهو يرى أنّه كلّما تسنّى للإنسان الاستفادة من تجارب الآخرين، كلّما كان أكثر إلماما بوجوه الآراء. ممّا يضمن عدم الوقوع في الأخطاء يقول (عليه السلام): (من استقبل وجوه الآراء عَرَفَ مواقع الخطأ)[٣].

لذا يحذّر الإمام أصحابه من آفة العجب الّتي، غالباً، ما تحول بين المرء واستفادته من نصائح الآخرين كما يتّضح من قوله (عليه السلام): (عجب المرء بنفسه أحد حسَّاد عقله)[٤] ومن نصيحته لابنه الحسن (عليه السلام) الّذي خصَّه بخلاصة تجاربه: (واعلم أنّ الإعجاب ضدُّ الصَّواب وآفةُ الألباب)[٥].

٢ ـ قرن العلم بالعمل

دعا الإمام (عليه السلام) لقرن العلم بالعمل، لا من أجل الاستفادة منه فحسب، بل من أجل رسوخه في النّفس. وقد أفصح الإمام (عليه السلام) عن هذه الحقيقة في أكثر من موضع، كقوله (عليه السلام) (العلم مقرونٌ بالعمل: فمن عَلِمَ عَمِلَ، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلاّ ارتحل عنه)[٦]. وقال (عليه السلام): (أوضع العلم ما وقف على اللّسان، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان)[٧].

٣ ـ تأمين أسباب الحياة الضرورية

من عميق ما أَلْفَتَ إليه الإمام (عليه السلام) هو علاقة الوضع الاقتصاديّ بالتّحصيل العقليّ. فالفقر، في نظر الإمام (عليه السلام) قد يؤدّي إلى ذهول العقل عن إدراك الحقائق. وقد يكون ذلك، إمَّا بسبب الانشغال عن العلم بطلب الرِّزق، وإمَّا للإصابة بعقد نقص أو أمراض، وإمَّا لعدم التّمكُّن من التّنقُّل في البلدان وملاقاة العلماء من ذوي الخبرة والاطّلاع.

وقد أشار الإمام (عليه السلام) إلى ذلك في عدَّة مواضع من النّهج. ففي حديثه عن عجيب صفات قلب الإنسان يقول: (إنْ عَضَّتْهُ الفاقة شَغَلَه البلاء. وإن جَهَدَه الجوعُ قَعَدَ به الضَّعْف)[٨].

وفي حديث له عليه السلام مع ابنه محمد بن الحنفيَّة يقول: (يا بُنَيَّ إنّي أخاف عليك الفَقْر، فاستعذ بالله منه، فإنّ الفقر مَنْقَصةٌ للدِّين، مَدْهَشَةٌ للعقل، دَاعيةٌ للمقت)[٩] لذا حثّ الإمام أصحابه على العمل لكسب المعيشة، وحثّ عمَّاله على تأمين أرزاق النّاس؛ كقوله لمالك الأشتر: (ثمّ أَسْبِغ عليهم الأرزاق، فإنّ ذلك قُوَّةٌ لهم على استصلاح أنفُسِهِمْ، وغِنىً لُهم عن تناولِ ما تحت أيديهم، وحُجَّةٌ عليهم إن خالفوا أمْرك أو ثَلَمُوا أمانَتَك)[١٠] ويبدو من خلال تقديم الإمام (عليه السلام) هدف (استصلاح النّفوس) على بقيَّة المقاصد المرجوَّة من تأمين الرِّزق، مدى إيمان الإمام بأهمِّيَّة هذا الأسلوب في تحصين العقل وتنميته. وليس غريباً بعد ذلك أن يعدّ الإمام أنّ (الفقر

المَوْتُ الأكبَر)[11] ويدعو عماله للاهتمام بتحسين حال الفقراء للإسهام في تنمية عقولهم.

٤ـ الابتعاد عن حياة الترف والهزل

من الأمور التي تضرُّ بالعقل وتُمرضه هي حياة التّرف والهزل واتباع الأهواء.

وأقوال الإمام الدالة على هذه الحقيقة كثيرة نذكر منها: (أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع)[12]. و(ما مَزَح امرؤٌ مزحة إلاّ مَجَّ من عقله مَجَّة)[13] لذا دعا (عليه السلام) أصحابه لمجاهدة هوى أنفسهم في سبيل إحياء عقولهم من مثل قوله (عليه السلام): (قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دقَّ جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطّريق وسلك له السَبيل)[14]. وعمل على تأسيس مجتمع خالٍ من هذه الأمراض الفتّاكة[15].

هذه هي أهم الأساليب التي يمكن استفادتها من كلام أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام والتي تتعلق بالتربية والتنمية العقلية.

---

(١) نهج البلاغة: ج٣ ص٨٩ من عهد له عليه السلام إلى مالك الأشتر.

(٢) المصدر السابق ج٤ ص٤١.

(٣) المصدر السابق ج٤ ص٤٢.

(٤) المصدر السابق ص٤٩.

(٥) المصدر السابق ج٣ ص٤٦ من وصية لولده الحسن عليه السلام.

(٦) المصدر السابق ج٤ ص٨٥.

(٧) المصدر السابق ص٢٠.

(٨) نفس المصدر السابق ص٢٥ حالات قلب الإنسان.

(٩) المصدر السابق ص٧٦.

(١٠) المصدر السابق ج٣ ص٩٦ من عهد له عليه السلام لمالك الأشتر.

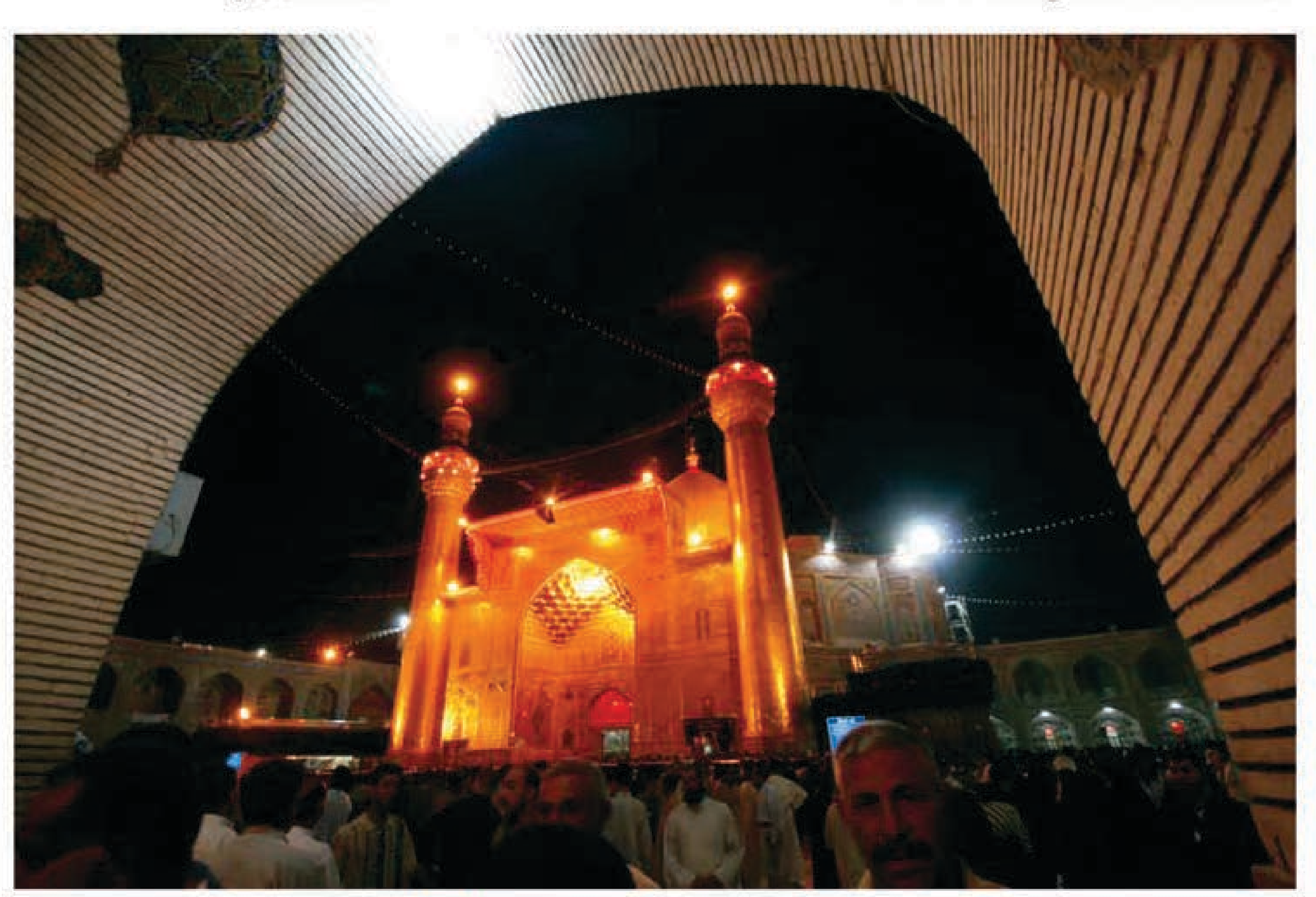
(١١) المصدر السابق ج٤ ص٤١.

(١٢) المصدر السابق ص٥٠.

(١٣) المصدر السابق ص١٠٤.

(١٤) ميزان الحكمة لمحمد الريشهري ج١ ص٢٢٥ صفة الإنسان الكامل.

(١٥) راجع المبادئ والأساليب التربوية في نهج البلاغة لأميرة برغل.





إنّ رأس مال الإنسان المهم في حياته ماءُ وجهه وحيثيّته، وأي شيء يهدّدهما فكأنّما يهدّد حياته بالخطر. وأحياناً يعدّ اغتيال الشخصية وقتلها أخطر من اغتيال الشخص نفسه، ومن هنا كان إثمه أكبر من قتل النفس أحياناً.

حكمة تحريم الغيبة

إنّ واحدةً من حِكم تحريم الغيبة أن لا يتعرّض هذا الاعتبار العظيم للأشخاص ورأس المال آنف الذكر لخطر التمزّق والتلوّث وأن لا هُتك حرمة الأشخاص ولا تلوّث حيثيّاتهم، وهذا مطلب مهم تلقّاه الإسلام باهتمام بالغ.

والأمر الآخر إنّ الغيبة تولّد النظرة السيئة وتضعف العلائق الاجتماعية وتوهنها وتتلف رأس مال الاعتماد وتزلزل قواعد التعاون الاجتماعي.

ونعرف أنّ الإسلام أولى الوحدة والانسجام والتضامن بين أفراد المجتمع أهميةً بالغةً، فكلّ أمر يقوي هذه الوحدة فهو محل قبول الإسلام وتقديره، وما يؤدّي إلى الإخلال بالأواصر الاجتماعية فهو مرفوض، والاغتياب هو أحد عوامل الوهن والتضعيف..

ثمّ بعد هذا كلّه فإنّ الاغتياب ينثر في القلوب بذور الحقد والعداوة وربّما أدّى أحياناً إلى الاقتتال وسفك الدماء.

والخلاصة أنّنا حين نقف على أنّ الاغتياب يعدّ واحداً من كبائر الذنوب فإنّما هو لآثاره السيئة فرديةً كانت أم اجتماعية!.

وفي الروايات الإسلامية تعابير مثيرة في هذا المجال بعضٌ منها:

١ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عِرض الرجل المسلم». (المحجّة البيضاء: ج٥، ص٢٥٣).

وما ذلك إلا لأنّ الزنى وإن كان قبيحا وسيئا، إلا أن فيه جنبة حق الله، ولكنّ الربا وما هو أشدّ منه كإراقة ماء وجه الإنسان وما إلى ذلك فيه جنبة حق الناس.

آخر من يدخل الجنة وأول من يدخل النار

٢ـ وقد ورد في رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطب يوما بصوت عالٍ ونادى: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه! لا تغتابوا المسلمين ولا تتّبعوا عوراتهم فإنّه من تتّبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته». (المصدر السابق: ص٢٥٢).

٣ـ كما ورد في حديث ثالث أنّ الله أوحى لموسى عليه السلام قائلا: «من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنّة، ومن مات مصرًّا عليه فهو أوّل من يدخل النار». (المصدر السابق).

كما ونقرأ حديثاً آخر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه». (أصول الكافي: ج٢، باب الغيبة، الحديث١ ـ الآكلة نوع من الأمراض الجلدية)

وهذا التشبيه يدلُّ على أنّ الاغتياب كمثل الجَرب الذي يأكل اللحم، فإنّه كذلك يأكل ويذهب بالإيمان بسرعة.

المغتاب خارج عن ولاية الله إلى ولاية الشيطان

ومع الالتفات إلى أنّ باعث الغيبة ودوافعها أمور متعدّدة كالحسد والتكبّر والبخل والحقد والأنانية وأمثالها من صفات دميمة وقبيحة يَتضح السرّ في سبب كون الغيبة وتلويث سمعة المسلمين وهتك حرمتهم لها هذا الأثر المدمّر لإيمان الشخص.

٤ـ نقل عن الإمام الصادق عليه السلام إذ يقول: «من روى على مؤمن روايةً يريد بها شينه وهدم مروّته ليسقط من أعين الناس



أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان. (وسائل الشيعة: ج٨، ص٦٠٨، الباب ١٥٧، ح٢.

إنّ جميع هذه التأكيدات والعبارات المثيرة إنّما هي للأهمية القصوى التي يوليها الإسلام لصون ماء الوجه وحيثية المؤمنين الاجتماعية، وكذلك للأثر المخرّب ـ الذي تتركه الغيبة ـ في وحدة المجتمع والاعتماد المتبادل في القلوب، وأسوأ من كل ذلك أن الغيبة تسوق إلى إشعال نار العداوة والبغضاء والنفاق وإشاعة الفحشاء في المجتمع، لأنّه حين تنكشف عيوب الناس الخفيّة عن طريق الغيبة لا تبقى لها خطورة في أعين الناس ويكون التلوّث بها في غاية البساطة!.

مفهوم الاغتياب

(الغيبة) أو الاغتياب كما هو ظاهر الاسم (ما يقال في غياب الشخص) فيكشف المغتاب بغيبته عيباً من عيوب الناس سواءٌ أكان عيباً جسدياً أم أخلاقياً أم في الأعمال أم في المقال، وحتى في الأمور المتعلّقة به كاللباس والبيت والزوج والأبناء وما إلى ذلك.

فبناءً على هذا ما يقال عن الصفات الظاهرة للشخص الآخر لا يعدّ اغتياباً، إلاّ أن يراد منه الذم والعيب فهو في هذه الصورة حرام، كما لو قيل في مقال الذم إنّ فلاناً أعمى أو أعور أو قصير القامة أو شديد الأدمة والسمرة أوكثّ اللحية إلخ..

فيتّضح من هذا أنّ ذكر العيوب الخفية بأي قصد كان يعدّ غيبةً وهو حرام أيضاً، وذكر العيوب الظاهرة إذا كان بقصد الذم فهو حرام.

كل هذا في ما لو كانت هذه العيوب في الطرف الآخر واقعية، أمّا إذا لم تكن أصلاً فتدخل تحت عنوان (البهتان) وإثمه أشدّ من الاغتياب بمراتب.

ففي حديث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، وأمّا الأمر الظاهر فيه مثل الحدّة والعجلة فلا، والبهتان أن تقول ما ليس فيه». (أصول الكافي: ج٢، باب الغيبة والبهت، ح٧).

علاج الغيبة والتوبة منها

إنّ الغيبة كسائر الصفات الذميمة تتحوّل تدريجاً إلى صورة مرض نفسي بحيث يلتذ المغتاب من فعله ويحس بالاغتباط والرضا عندما يريق ماء وجه فلان، وهذه مرتبة من مراتب المرض القلبي الخطير جدا.

ومن هنا فينبغي على المغتاب أن يسعى إلى علاج البواعث الداخلية للاغتياب التي تكمن في أعماق روحه وتحضّه على هذا الذنب، من قبيل البخل والحسد والحقد والعداوة والاستعلاء والأنانية!.

فعليه أن يطهّر نفسه عن طريق بناء الشخصية والتفكير في العواقب السيئة لهذه الصفات الذميمة وما ينتج عنها من نتائج مشؤومة، ويغسل قلبه عن طريق الرياضة النفسية ليستطيع أن يحفظ لسانه من التلوّث بالغيبة.

ثمّ يتوجه إلى مقام التوبة، وحيث أنّ التوبة من الغيبة فيها (جنبة) حق الناس، فإنّ عليه إذا كان ممكناً ولا يحصل له أي مشكل أو معضل ـ أن يعتذر ممّن اغتابه حتى ولو بصورة مجملة أو معمّاة كأن يقول: إنني أغتابك أحيانا لجهلي فسامحني واعفُ عني ولا يطيل في بيان الغيبة وشرحها لئلاّ يحدث عامل آخر للفساد والإفساد!.

وإذا لم يستطع الوصول إلى الطرف الآخر، أو لا يعرفه، أو أنّه مضى إلى ربّه فيستغفر له ويعمل صالحاً، فلعلّ الله يغفر له ببركة العمل الصالح ويرضي عنه الطرف الآخر.

مائة موضوع أخلاقي في القرآن والحديث، تأليف آية الله العظمى مكارم الشيرازي: ص٢٦٨ـ٢٧١.



ان لكل موجود من موجودات هذا العالم صفة أو مجموعة صفات تميزه عن غيره من الموجودات، فالحجر غير الشجر والماء غير النار، والذهب غير التراب، وهكذا الحال في كل أجزاء الوجود.

أما بالنسبة إلى ذات الله سبحانه وتعالى فالعقل قبل النقل يقضي بوجوب ان تكون لذاته المقدسة صفات تميزها عن بقية خلقه وسائر أجزاء هذا العالم المادي، وقد قسم علماؤنا رضوان الله تعالى عليهم هذه الصفات بحسب اللحاظ العقلي إلى قسمين رئيسين هما:

القسم الأول: الصفات السلبية أو الجلالية

ان من الصفات ما تكون كمالا لموجود معين ولكنها إذا نسبت إلى موجود ثان عدت نقصا، كصفة الإحراق فهي كمال للنار ولكنها لغيرها صفة نقص، وفي مجال الصفات الإلهية فإن هذا الأمر متحقق أيضا، فان هنالك مجموعة من الصفات يحكم العقل قبل النقل بلزوم تنزه الذات الإلهية عن الاتصاف بمثلها، ووجوب سلبها عنها، وعليه فكل وصف استلزم نقصا له سبحانه وتعالى انتفى عنه ولزم سلبه عن ذاته، ولذلك سميت جلالية بمعنى أن ذاته سبحانه وتعالى تجل وتتكرم عن الاتصاف بمثلها.

وعمدة هذه الصفات كما يقول الشيخ السبحاني هي كونه سبحانه وتعالى (غير محتاج إلى شيء) فكونه سبحانه وتعالى ليس بمحتاج يمكن ان يكون مبدأ لكثير من الصفات الجلالية، فجملة من مسائل الصفات تثبت بثبوت هذه الصفة، فنفي التركيب من أجزاء والرؤية وغيرها من صفات النقص كلها تنتفي حين ثبوت أن ذات الباري سبحانه وتعالى غير محتاجة. ونستطيع إثبات هذه الصفة بالآتي:

انه سبحانه وتعالى ليس بمحتاج

الوجود كما لا يخفى قائم على قانون العلة والمعلول، أو قانون العلية بمعنى أدق، فالنار علة للحرارة، وهي أيضا علة للإحراق، والبنّاء علة لوجود البناء، والأب والأم علة لوجود أولادهم، والفلاح علة لوجود الزرع، والسحاب علة لوجود المطر، وهكذا الحال في جميع أجزاء هذا الوجود، وكما ثبت في أدلة إثبات وجود الله سبحانه وتعالى ان هذا الكون بما فيه معلول لله سبحانه وتعالى، والله جل وعلا علة له ولولاه لما وجد كون ولا عالم، وعليه فكل ما في الوجود محتاج ومفتقر إلى ذات الله سبحانه وتعالى حدوثا وبقاءً.

فإذا اتضح ذلك نقول لو فرضنا ان الله سبحانه وتعالى كان محتاجا، فسيكون حينئذ معلولا، لان كل محتاج معلول، والمعلول يحتاج دوما إلى من يسد له حاجته، وهذا خلاف ما تم إثباته من أن الله سبحانه وتعالى علة غير محتاجة لسائر أجزاء الوجود بل الوجود بأسره محتاج إليها، فلكي لا يلزم القول بمعلولية الذات المقدسة يجب القول بعدم حاجتها «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ».

فضلاً عن ان هذا الوجود مبني أساسا على وجود الكامل وتعلقه بالأكمل فالحيوان أكمل وأعلى مرتبة من النبات والإنسان أكمل وأعلى مرتبة من الحيوان وهو أيضا أكمل من النبات، وهكذا إلى ان نصل إلى مرتبة كمالية لا نقص فيها هي مرتبة الذات الإلهية الجامعة لكل مراتب الكمال المطلق، وبثبوت هذه المرتبة الكاملة الخالية عن كل نقص ومحدودية يثبت انه سبحانه وتعالى غير محتاج، لان الحاجة مهما

كان نوعها تعد نقصاً والنقص منفي ومنزه منه سبحانه وتعالى، لان ذاته كما تقدم جامعة لكل الكمالات لا نقص فيها ولا محدودية « لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ».

انه سبحانه وتعالى ليس بمركب

التركيب على قسمين، القسم الأول هو التركيب الحقيقي، كتركب الإنسان من رأس ورقبة ويدين ورجلين وغير ذلك، وكتركب الشجرة من جذور وجذع وأغصان وأوراق وغير ذلك، وكتركب ذرة الماء من ذرتي نيتروجين وذرة أوكسجين، والقسم الثاني من أقسام التركيب هو التركيب العقلي، وهو الذي يتدخل العقل في إيجاده، كتقسيم المتر إلى مائة سنتمتر، والسنتمتر إلى عشرة مليمترات، وكتقسيم الإنسان إلى وجود وماهية، وغير ذلك من الأمثلة.

وكلٌ من هذين القسمين من أقسام التركيب منفي عن الله سبحانه وتعالى، لان كل مركب محتاج إلى أجزائه أولا، كالشجرة تحتاج إلى جميع أجزائها التي تقدم ذكرها حتى يمكن أن يقال لها شجرة، فلا يقال لها شجرة ما لم يكن لها جذع مثلا، وثانيا أن كل مركب يحتاج إلى من يجمع له هذه الأجزاء، فالمتر لا يصير مترا من ذاته ومن دون تدخل خارجي، ولا بد من موجود يوجد فيه هذا التقسيم، وقد ثبت سابقا ان الله سبحانه وتعالى غير محتاج إلى غيره وهو الغني الحميد، فإذا ثبت عدم حاجته يثبت عدم تركيبه من أجزاء لا حقيقية ولا عقلية « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ».

انه سبحانه وتعالى ليس بجسم

وإذا ثبت عدم تركيبه سبحانه وتعالى من أجزاء يثبت تبعا له استحالة ان يكون الموجود المادي الجسماني إلها، لان المادة والجسم مركبة على أقل التقادير من طول وعمق وحيز مكاني، وكل مركب محتاج إلى أجزائه والى من يركبه، فيلزم أن يكون الله سبحانه وتعالى ليس بموجود مادي، وبهذا يبطل كل تلك الاعتقادات الوثنية المنتشرة في شرق الأرض وغربها، فلا الأصنام ولا الكواكب ولا البقر ولا غير ذلك من أنواع الآلهة المزيفة تستحق العبادة من دون الله سبحانه وتعالى.

انه سبحانه وتعالى غير متحيز بمكان ولا محدود بزمان

وإذا ثبت تنزه ذات الله سبحانه وتعالى عن المادة والجسمية يثبت تنزهه عن أن تجري عليه سبحانه وتعالى قوانين المادة وأنظمتها نظير أن يكون في مكان مخصوص أو جهة معينة أو تجري عليه قوانين الزمان وحوادث الدهور والأزمان، لان كل تلك القوانين إنما تخص وتشمل الموجود المادي والله سبحانه وتعالى منزه عن المادة والجسمية كما ثبت من قبل.

فضلاً عن ان من يتحيز بمكان معين دون غيره، أو جهة دون غيرها، يكون محتاجا إلى هذه الجهة وذلك المكان والله سبحانه وتعالى منزه عن كل حاجة فيكون منزّهاً كذلك عن كل جهة ومكان.

انه سبحانه وتعالى ليس بمرئي ولا محسوس أو ملموس

بعد ثبوت تنزه الباري سبحانه وتعالى عن التركيب، وعن التحيز بمكان أو زمان يصبح من البديهي تنزهه عن إدراكه بالحس أو اللمس، لأن كل ذلك من خواص الأجسام والله سبحانه وتعالى متنزه عن الجسمية، وكذلك يثبت تنزهه سبحانه وتعالى عن رؤية الأبصار ومشاهدة العيون، لأن الرؤية إنما تصح لمن كان مقابلا كالجسم أو في حكم المقابل كالصورة في المرآة والمقابلة وما في حكمها إنما تحقق في الأشياء ذوات الجهة، والله منزه عنها فلا يكون مرئيا.

وأيضا فإن الرؤية لا تحقق إلا بانعكاس الأشعة من المرئي إلى أجهزة العين، وهو يستلزم أن يكون سبحانه جسما ذا أبعاد، وهو منفي عنه سبحانه وتعالى.

والرؤية بأجهزة العين نوع إشارة إليه بالحدقة، وهي إشارة حسية لا تتحقق إلا بمشار إليه حسي واقع في جهة، والله تعالى منزه عن الجسمانية والجهة.

والرؤية إما أن تقع على الذات كلها أو على بعضها، فعلى الأول يلزم أن يكون المرئي محدودا متناهيا، وعلى الثاني يلزم أن يكون مركبا ذا أجزاء وأبعاض والجميع مستحيل في حقه سبحانه وتعالى.

وتستحيل الرؤية كذلك لقوله سبحانه وتعالى « لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ » وقوله سبحانه وتعالى « وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا » فإذا رأته العيون فقد أدركته الأبصار وإذا أدركته الأبصار فقد أحيط به علما، فحتى لا تكذب آيات القرآن يجب ان تمنع رؤيته سبحانه وتعالى بحاسة البصر ونتزهه عن مشاهدة العيون.



ذو القرنين

الوارث

جاء في علل الشرايع والأمالي مسنداً إلى وهب قال: وجدت في بعض كتاب الله تعالى ان ذا القرنين لما فرغ من عمل السد انطلق على وجه، فبينما هو يسير وجنوده؛ إذ مر على شيخ يصلي فوقف عليه بجنوده حتى انصرف من صلاته فقال له ذو القرنين: كيف لم يرعك ما حضرك من جنودي؟.

قال: كنت أناجي من هو أكثر جنوداً منك وأعز سلطاناً وأشد قوة، ولو صرفت وجهي إليك لم أبلغ حاجتي قبله.

فقال ذو القرنين: هل لك في أن تنطلق معي فأواسيك بنفسي واستعين بك على بعض أمري؟.

قال: نعم إن ضمنت لي أربع خصال: نعيماً لا يزول وصحة لا سقم فيها وشباباً لا هرم فيه وحياة لا موت فيها.

فقال له ذو القرنين: وأي مخلوق يقدر على هذه الخصال؟.

فقال له الشيخ: فإني مع من يقدر عليها ويملكها وإياك.

ثم مر برجل عالم فقال لذي القرنين أخبرني عن شيئين منذ خلقهما الله عزَّ وجلَّ قائمين؟ وعن شيئين مختلفين؟ وعن شيئين جاريين؟ وعن شيئين متباغضين.

فقال له ذو القرنين: أما الشيئان الجاريان فالشمس والقمر، وأما الشيئان المختلفان فالليل والنهار، وأما الشيئان المتباغضان فالموت والحياة.

فقال: انطلق فإنك عالم.

فانطلق ذو القرنين يسير في البلاد حتى مر بشيخ يقلب جماجم الموتى فوقف عليه بجنوده فقال له: أخبرني أيها الشيخ لأي شيء تقلب هذه الجماجم؟.

فقال: لأعرف الشريف من الوضيع، والغني من الفقير فما عرفت واني لأقلبها منذ عشرين سنة فانطلق ذو القرنين وتركه، فقال: ما عنيت بهذا أحداً غيري[1].

وسئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟.

فقال عليه السلام: ((لا ملكاً ولا نبياً بل عبداً أحب الله فأحبه الله، ونصح لله فنصح له، فبعثه إلى قومه فضربوه على قرنه الأيمن، فغاب عنهم، ثم بعثه الثانية فضربوه على قرنه الأيسر فغاب عنهم، ثم بعثه الثالثة، فمكن الله له الأرض، وفيكم مثله))[2]. يعني نفسه.

وكان ذو القرنين إذا مر بقرية زأر فيها كما يزأر الأسد المغضب، فينبعث في القرية ظلمات ورعد وبرق وصواعق يهلك من خالفه.

وقيل له: إن لله في أرضه عيناً يقال لها عين الحياة لا يشرب منها ذو روح إلا لم يمت حتى الصيحة، فدعا ذو القرنين الخضر وكان أفضل أصحابه عنده ودعا ثلاثمائة وستين رجلاً ودفع إلى كل واحد منهم سمكة وقال لهم اذهبوا إلى موضع كذا وكذا فإن هنالك ثلاثمائة وستين عيناً، فيغسل كل واحد منهم سمكته في عين غير عين صاحبه.

فذهبوا يغسلون وقعد الخضر يغسل فانسابت[3] منه السمكة في العين وبقي الخضر متعجباً مما رأى وقال في نفسه: ما أقول لذي القرنين؟ ثم نزع ثيابه يطلب السمكة، فشرب من مائها واغتمس فيه ولم يقدر على السمكة، فرجعوا إلى ذي القرنين، فأمر ذو القرنين بقبض السمك من أصحابه.

فلما انتهوا إلى الخضر لم يجدوا معه، فدعاه وقال له: ما حال السمكة؟ فأخبره الخبر، فقال له: ماذا صنعت؟. قال: اغتمست فيها فجعلت أغوص وأطلبها فلم أجدها. قال: فشربت من مائها؟.

قال: نعم. قال: فطلب ذو القرنين العين فلم يجدها. فقال للخضر: كنت أنت صاحبها[4]"[5].

وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

سورة الكهف، ٨٣ـ٩٧

---

(١) تفسير القمي: ج٢ ص٤٠.
(٢) تفسير القمي: ج٢ ص ٤١.
(٣) أي مشت مسرعة.
(٤) تفسير القمي: ج٢ ص٤٢.
(٥) قصص الأنبياء لسيد نعمة الله الجزائري: ص١٧٧، ١٧٥.

الكتابة واستراتيجية العنونة

شكّلت «اللغة ـ الصوت» الفضاء الملائم للعنونة غير المباشرة أو «العنونة الصوتية» حتى تمارس كينونتها وألاعيبها. غير أنّ «اللغة» لا تنفك تطارد الصيرورة التاريخية للكائن، بحثاً عن «تكنولوجيا» بديلة للصوت، هذا الشيء الهش، قرينُ التلاشي والزوال، فيما يحاول تخثير المعنى وتخزينه إزاء سطوة الزمن. وفي مواجهة هذه الفداحة التي أصيب بها «المعنى» كان لابدّ للكائن من إيجاد وسيلة أو ابتكارها تنقله من «ثقافة الأذن»، وما يترتب عليها من قرب ومباشرة واتصال ونقل وحفظ وذاكرة إلى «ثقافة العين» وما يرتبط بها من وقائع البعد والابتعاد والانفصال والبصيرة والمنظور المختلف والقراءة.

إلى ذلك، وفي غفلة مريعة من تسلط «الصوت» نجح الكائن في التأسيس لـ«اللغة ـ الكتابة» عبر صيرورة مرحلية من تحولات «النقش»، بدءاً من «الدور الصوري الذاتي» متمثلاً بصور الأشياء وانتهاءً بـ«الدور الهجائي» بوصفه الدور الأكثر تطوراً، مروراً بدوري «الصورة الرمزية» حيث التعبير عن الدلالات المجردة بالصورة المحسوسة كما هي الحال في الكتابة الهيروغليفية والدور المقطعي «الذي تدلّ فيه الصورة على مقطع من مقاطع الكلمة بدلاً من دلالتها على الكلمة بكاملها، كأن تدل صورة العدو على حرف العين والسفينة على السين». وهكذا كان ظهور الكتابة بمنزلة الحسم بمكان في تاريخ الكائن. يكتب والتر . ج. أونج Walter J.ong بهذا الصدد: «أما الاكتشاف الحاسم الفريد الذي قادنا إلى عوالم جديدة من المعرفة فقد تمّ داخل الوعي الإنساني لا عندما نشأت العلامة السيميوطيقية، بل عندما اختُرع نظام شفري من العلامات البصرية التي يستطيع الكاتب بوساطتها أن يقرّر الكلمات الدقيقة التي سوف يولدها القارئ من النص وهذا هو ما نعنيه عادة اليوم بالكتابة في معناها الدقيق»، وهكذا، وإن كان الانتقال من الصوت إلى الحرف له فداحته زمنياً، فقد تمّ احتضان «اللغة ـ الصوت» في «اللغة ـ الكتابة» عبر تجميد الصوت وتخثيره، وبذلك مثلت «اللغة ـ الكتابة» المرطقة التي أعلنها الكائن على كارثة النسيان، كابحاً هجومها المستمر على الذاكرة المعتاشة على إفرازات الصوت، لاسيما أن اسم الجنس «إنسان» ينطوي على معنى النسيان على الصعيد الاشتقاقي: «إنما سمّي الإنسان إنساناً لأنه عهد إليه فنسي وكان الإنسان في الأصل إنسيان فهو إفعلان من النسيان». وبناءً على ذلك، فـ«جوهر الإنسان هو النسيان المتقش في اسمه». وقد كان لهذا الانتهاك الفذ في خاصرة الزمن، باغتيال الفراغ واحتياز اللغة على المكان أو «فضائية الكتابة»، أثر العارم في طبيعة الوعي بذاته، والوعي بالعالم: «فمن دون الكتابة لا يستطيع العقل الكتابي أن يفكّر على النحو الذي يفعله ليس فقط عندما يمارس الكتابة بل حتى إنشاءه أفكاره في شكل شفاهي. لقد غيّرت الكتابة شكل الوعي الإنساني أكثر من أيّ اختراع آخر».

في نظرية العنوان، د. خالد حسين حسين: ص٢٥ـ٢٦.

كميل بن زياد
شهيد العقيدة والولاء



من هو كميل بن زياد رحمه الله؟

هو كما ذكره ابن سعد بقوله: (كميل بن زياد بن نهيك بن هشيم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج)[1] وهو المنسوب إليه الدعاء المشهور باسم «دعاء كميل» الذي يقرأ ليلة الجمعة ويوم عرفة المشروح بعده شروح مطبوعة وغير مطبوعة.

جلالة قدره وارتفاع منزلته في دينه وبين قومه

قال المزي في تهذيب الكمال: (وقال محمد ابن عبد الله بن عمار: كميل بن زياد... من رؤساء الشيعة... وقال أبو الحسن المدائني: وفيهم يعني أهل الكوفة من العباد: أويس القرني، وعمرو بن عتبة بن فرقد... وكميل بن زياد النخعي)[2].

وقال ابن حجر: (كميل بن زياد بن نهيك ويقال ابن عبد الله النخعي التابعي الشهير... وكان شريفا مطاعا ثقة قليل الحديث ووثقه ابن معين وجماعة وقال ابن عمار كان من رؤساء الشيعة)[3].

وقال ابن كثير: (وكميل بن زياد وكان شجاعا فاتكا على كبر سنه)[4] وقال في موضع آخر: (كميل بن زياد بن نهيك بن خيثم النخعي الكوفي... وكان شجاعا فاتكا، وزاهدا عابدا)[5].

مقامه عند الأئمة عليهم السلام

قال السيد الخوئي قدس الله روحه:

(كميل بن زياد: النخعي: عده الشيخ في أصحاب علي عليه السلام، وفي أصحاب الحسن. وعده البرقي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من اليمن. وعده الشيخ المفيد في الاختصاص من السابقين المقربين من أمير المؤمنين عليه السلام...

أقول: جلالة كميل واختصاصه بأمير المؤمنين عليه السلام من الواضحات التي لا يدخلها ريب)[6].

وقال الشيخ علي النمازي الشاهرودي:

(كميل بن زياد النخعي: من أعاظم خواص مولانا أمير المؤمنين والحسن المجتبى صلوات الله عليهما... وبالجملة هو متفق العدالة والجلالة بين الفريقين. عده أمير المؤمنين عليه السلام من ثقاته العشرة... وكان من خيار شيعته ومحبيه... وصية أمير المؤمنين عليه السلام له، وهي مفصلة تدل على قوة إيمانه و معرفته)[7].

توثيق أهل السنة لكميل بن زياد

قال الرازي في الجرح والتعديل: (كميل بن زياد النخعي ... حدثنا عبد الرحمن قال ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين قال كميل بن زياد ثقة)[٨].

وقال العجلي في معرفة الثقات: (كميل بن زياد كوفي تابعي ثقة)[٩].

وقال المزي: (وقال محمد بن عبد الله بن عمار: كميل بن زياد رافضي، وهو ثقة من أصحاب علي)[١٠].

وقد نقل ابن حجر توثيقه ثم ذكر نقطة هامة فقد عده من طبقة الأصحاب الذين أدركوا حياة النبي وشاهدوه، حيث قال: (كميل بن زياد بن نهيك ويقال بن عبد الله النخعي التابعي الشهير له إدراك قال ابن أبي خيثمة وخليفة بن خياط مات سنة اثنتين وثمانين من الهجرة زاد ابن أبي خيثمة وهو ابن سبعين سنة بتقديم السين فيكون قد أدرك من الحياة النبوية ثماني عشرة سنة وروى عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم روى عنه عبد الرحمن بن عابس وأبو إسحاق السبيعي والأعمش وغيرهم قال ابن سعد: شهد صفين مع علي وكان شريفا مطاعا ثقة قليل الحديث ووثقه ابن معين وجماعة)[١١].

قدح بعض علماء أهل السنة بكميل بن زياد بسبب حبه لعلي عليه السلام

قال ابن حبان: (كميل بن زياد النخعي: وهو الذي يقال له: كميل بن عبد الله، من أصحاب علي بن أبي طالب ... وكان كميل من المفرطين في علي ممن يروى عنه المعضلات وفيه المعجزات، منكر الحديث جدا تتقى روايته ولا يحتج به)[١٢].

فالسبب إذن من رد ابن حبان لروايات كميل بن زياد هو أنّ كميلاً كان شديد الحب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وممن يروي معجزاته، فإذا صدق ابن حبان في رده لأحاديث كميل فيجب عليه أيضا رد كل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله لأن النبي صلى الله عليه وآله كان شديد الحب لعلي وقد أوضح من كراماته ومقاماته ما تحير أولي الألباب، ولوجب رد أحاديث كثير من الصحابة والتابعين وكثير من المؤرخين والباحثين لأنهم كانوا يحبون أمير المؤمنين عليه السلام ويروون فضائله ويحدثون بكراماته.

قصة استشهاده على يد الحجاج لعنه الله

قال الشيخ المفيد قدس الله روحه: (لما ولي الحجاج طلب كميل بن زياد فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير قد نفد عمري، لا ينبغي أن أحرم قومي أعطياتهم، فخرج فدفع بيده إلى الحجاج، فلما رآه قال له: لقد كنت أحب أن أجد عليك سبيلا، فقال له كميل: لا تصرف علي أنيابك ولا تهدم علي فوالله ما بقي من عمري إلا مثل كواسر الغبار، فاقض ما أنت قاض فإن الموعد الله وبعد القتل الحساب، ولقد خبرني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنك قاتلي، قال: فقال له الحجاج: الحجة عليك إذن، فقال كميل: ذاك إن كان القضاء إليك، قال: بلى قد كنت فيمن قتل عثمان بن عفان، اضربوا عنقه، فضربت عنقه)[١٣].

فذهب كميل بذلك إلى ربه شهيدا، وقبره اليوم مشهور بأطراف الكوفة يزار ويتقرب به وبصاحبه إلى الله سبحانه وتعالى، فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا فيخاصم أعداء الله بدمه ويشفع لمحبيه وزواره.

---

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ج ٦ ص ١٧٩.
(٢) تهذيب الكمال للمزي ج ٢٤ ص ١٩.
(٣) الإصابة لابن حجر ج ٥ ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦.
(٤) البداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٥٢.
(٥) البداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٥٧.
(٦) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج ١٥ ص ١٣٢ ـ ١٣٣.
(٧) مستدركات علم رجال الحديث للشيخ علي النمازي الشاهرودي ج ٦ ص ٣١٤ ـ ٣١٥.
(٨) الجرح والتعديل للرازي ج ٧ ص ١٧٤ ـ ١٧٥.
(٩) معرفة الثقات للعجلي ج ٢ ص ٢٢٩.
(١٠) تهذيب الكمال للمزي ج ٢٤ ص ٢١٩.
(١١) الإصابة لابن حجر ج ٥ ص ٤٨٥ ـ ٤٨٦.
(١٢) كتاب المجروحين لابن حبان ج ٢ ص ٢٢١.
(١٣) الإرشاد للشيخ المفيد ج ١ ص ٣٢٧.



الحجاب إيمان وقناعة

الوارث

إنّ من أسمى الأمور التي يحبّذها ديننا الحنيف أن نُطبّق الفرائض ونعرف ما هي غاياتها.. فمن يقرأ القرآن ويعي معانيه ومن يصلّي ويدرك فلسفة ركوعه وسجوده وتشهّده وتسليمه.. ومن يصوم ويعرف غاية جوعه وصبره، فكل ذلك مما يضاعف الثواب والأجر عند الله عز وجل.. لأنه أدرك معاني ما عمل وعرف مغازي ما فعل فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «فقيه واحد أشدّ على إبليس من ألف عابد».

(بحار الأنوار: ج٢، ص١٧).

وقال عليه السلام: «المؤمن العالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله».

(المصدر السابق).

ومن هذه الأحاديث وغيرها نستشفّ حقيقة أن العالم هو من يعلم حقيقة الدين، ويعي غاياته وفلسفته.. ولذلك يفوق ثوابه وفضله عن العابد الزاهد المؤمن الذي يفتقر العلم.

يجب على المرأة ان تعي أهمية الحجاب

وتنطبق الأمثلة على المرأة التي ترتدي الحجاب الذي تتحتّم عليها معرفة الغاية من ارتدائه.. وإن أدركت أفعال أمورها ذلك ما يعزز إيمانها وتصديقها بالقيم.. ومن تضع الحجاب من رأسها إلى رجليها لابدّ أن تعي لماذا فرض عليها وألزمها بالتقيّد به؟.

وما أطيب الإيمان الذي يتوّج بالقناعة القلبية بل ليس هنالك إيمان يضاهيه.. وما أكثر قيمة الحجاب الذي ترتديه المسلمة من اندفاع إيماني وفرض واجب مقدّس فرض عليها.. لأنّه يضمن معاني عظيمة وجمّة تعود بالنفع والفائدة للمجتمع، وإن عدم التقيد به يجرّ العواقب الوخيمة على صعيد الذات والمجتمع.. وفرق شاسع بين إنسان يؤدي ممارساته العبادية لأن والديه مارسا وعملا فهو يقلّدهما دون زيادة.. وبين آخر يمارس الفرائض ويؤدّي الواجبات لأنّ تفكيره يقوده إلى معرفة قدر الله ولذلك لابدّ أن يطاع ويعبد.. وما دامت القناعة حاضرة في القلب فإنها تثبت قواعد الإيمان.. ومن الصعب أن يتخلّى عن إيمانه حتى ولو خضع تحت ظروف قاهرة.

الحجاب نتيجة الضغط الاجتماعي

وعبر هذا التمهيد يقودنا إلى أن نعرف ونصنّف أنواع المرأة التي تتقيّد بالحجاب:

١ ـ أن ترتدي الحجاب تحت ضغط المجتمع وليس من منطلق الإيمان والتديّن والحفاظ على صيانة محيطها.. وإنما الخشية أن تكون غرضا للكلام وتناول الحديث عنها، وهذا النوع سرعان ما يدع الحجاب حينما تتاح له الفرصة المناسبة لنزعه.. فحالما خرجت من محيطها وغادرت بعيدة عن أنظار الآخرين حينئذٍ ترفع غطاء الحرج والإشكال.. وكمثل هذا الصنف المرائي الذي يتقيّد بالحجاب خشية من ضغط

المجتمع كمن صلّى الصلاة خوفا من عصاة أبيه وليس قربة لله تعالى.

التقليد في لبس الحجاب

٢ ـ التقيّد بدون علم:

فتلتزم به لأنّ أسرتها وصديقاتها يتقيّدن به وهي التبعية المجرّدة من التفكير (حشر مع الناس عيد) (وتخوض مع الخائضين).. دون أن تبحث عن معرفة الغاية.. وهذا شبيه بحالة الطفولة حيث تبلغ مرحلة لدى الطفل بأن يقلّد أبويه في أي فعل كالصلاة دون أن يدرك أنّها واجبة.. وكذلك التي ترتدي الحجاب ما لم تعلم أنّه واجب.. وسرعان ما تتراجع أمام أي ظرف قاهر يقودها إلى التبرّج والانحلال طالما لا تعي الغاية ولربّما تكون لقمة سائغة لدعاة السفور والتغرّب إذ لا تحتاج إلى جهد مضنٍ في عدول قناعتها إلى واقعهم، وعلى صعيد آخر لعلّها تتاح لها فرصة المغادرة من البلاد وتبتعد عن أهلها وزميلاتها وتغادر إلى جوّ مفتوح ومألوف يسوده التبرّج والانحلال فيتحتّم عليها أن تنتزع ما عليها لئلاّ تكون شاذّة في وسط الآخرين.. أو أن تكون صورة ملفتة تشدّ الناظرين في كلّ الطرق ـ والأماكن ـ والمحلاّت.. فتقع تحت ظرف محرج يصعب عليها اختراقه.. وما دامت تفتقر خلفيّة الحجاب.

الحجاب على أساس الإيمان والقناعة

٣ ـ ومن النساء من تتقيّد بحجابها بإيمان وقناعة وتصرّ على موقفها المقدّس أنّى كانت الظروف... فالالتزام معاهدة قلبية بين العبد وربّه بأن لا يقع في معاصيه تحت أيّ تأثير من المؤثرات.

وطالما المرأة التزمت وأدركت ما هو خلفية حجابها.. حينئذ تضمن ديمومة التزامها وسلامة إيمانها، والبقاء على هذا الأمر يزيدها إيماناً رصيناً وقناعة تامة تصونها من الآفات.. والسخرية.. والاستهزاء مهما كانت كثيرة أو قليلة دائمة أو منقطعة.. فلا تراجع ولا انهزام عن قيم الرسالة والمبدأ!.

مصير المرأة المتهاونة بحجابها

وحينما يحرّم الإسلام المخالطة والمصافحة والمفاكهة والعلاقات اللا مشروعة بين الرجل والمرأة بوصفها تؤدي إلى الفساد والإفساد، وحريّ بنا في هذا الصدد أن نقرأ شيئاً من الأحاديث الشريفة التي تذمّ حالة السفور والمجون بأنواعه وفنونه كافة:

قال الإمام علي عليه السلام دخلت أنا وفاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوجدناه يبكي بكاءً شديداً فقلت فداك أبي وأمي ما الذي أبكاك؟

فقال: يا علي ليلة أُسري بي إلى السماء رأيت نساء أمتي في عذاب شديد فأنكرت شأنهنّ وبكيت لما رأيت من شدّة عذابهنّ، ثم بدأ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يحدّث مشاهداته ليلة المعراج فكان يقول:

«رأيت امرأة معلّقة بشعرها يغلي دماغ رأسها. ورأيت امرأة معلّقة بلسانها والحميم يصبّ في حلقها. ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها. ورأيت امرأة قد شدّت رجلاها في يديها وقد سلّطت عليها الحيّات والعقارب. ورأيت امرأة صمّاء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغ رأسها من منخرها وبدنها مقطّع من الجذام والبرص.

ورأيت امرأة يقرض لحمها بالمقاريض»..

فقال الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ «يا بنيّة:

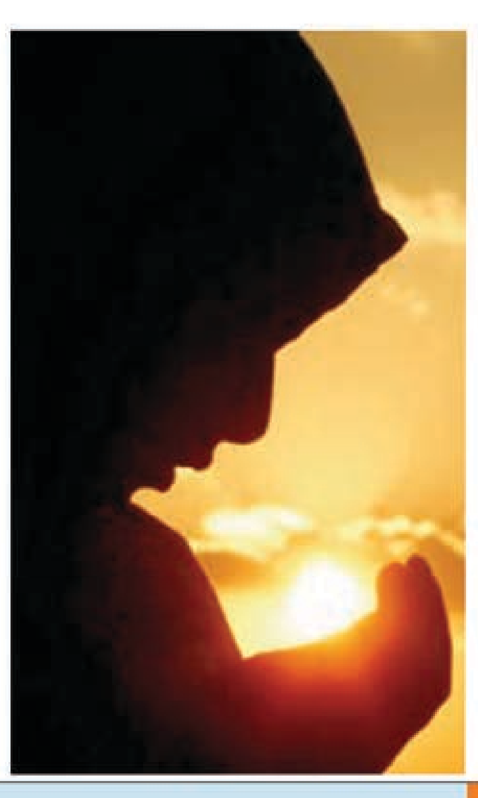
أما المعلقة بشعرها فانها كانت لا تغطّي شعرها عن الرجال. وأما المعلقة بلسانها فانها كانت تؤذي زوجها. وأما التي تأكل لحم جسدها النار فانها كانت تزيّن بدنها للناس. وأما التي شدّت يداها إلى رجليها وسلّطت عليها الحيّات والعقارب فانها كانت قذرة الوضوء وقذرة الثياب وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ولا تتنظّف وكانت تستهين في الصلاة.

وأما العمياء الصمّاء الخرساء فانها كانت تلد من الزنى وتعلق في عنق زوجها.

وأما التي يقرض لحمها بالمقاريض فانها كانت تعرض نفسها على الرجال».

(بحار الأنوار: ج١٠٠، ص٢٤٥).

الحجاب إيمانٌ وقناعة، تأليف: جعفر اليوسف: ص٣٩ ـ ٤٣ و٥٤ ـ ٥٦.



الشهب السماوية

الشهب (Meteors) هي خطوط ضوئية سريعة تشاهد كل ليلة، ويمكن أن يشاهد المشاهد في الليلة الواحدة أكثر من شهاب واحد في هذه الجهة من السماء أو تلك الجهة، وهي كتل ضوئية ذات ذيول جميلة توفر منظراً جميلاً لأهل الأرض.

والشهب ظاهرة سماوية واضحة جداً تشبه اللعب النارية، يشتاق الناس لرؤيتها وبخاصة بعد ما عرفوا طبيعتها الوديعة وعدم احتوائها على أي عداء للإنسان على الأرض.

وفي اللغة ذكر ابن منظور في (لسان العرب) الشّهاب بقوله: (الشهاب: شعلة نار ساطعة، والجمع شهب وشهبانٌ وأشهب)[1]، ويقول أيضاً: (أراد بالشّهاب: الذي ينقضّ باللّيل شبه الكوكب، وهو في الأصل الشّعلة من النار)[2].

وعلى هذا فالشهاب تسمية معروفة في اللغة العربية قديماً، ومضمونه نفس المضمون المعروف في الوقت الحالي، وهو في علم الفلك الحديث ظاهرة كونية معروفة ومدروسة دراسة علمية وميدانية وبأدوات علمية وتكنولوجية متطورة، وهو قطعة صغيرة أو حبة رمل من ذلك النثار الصخري والرملي المتفاوت أحجاماً وكتلاً، والذي ينتشر داخل النظام الشمسي بمدارات محددة، وحين يتأثر بقوة الجاذبية الأرضية يدخل الغلاف الجوي بسرعة عالية - متوسطها نحو ٤٠ كيلو متر في الثانية - فيحتك بجسيمات الهواء مكوناً شعلاً فضائية جميلة تجري منقضة على شكل أسهم ضوئية مارقة لتتبخر بعد لحظات أو أكثر وتنتهي نهائياً.

ويعتمد حجم الشهاب وشدة سطوعه وفترة بقائه على حجم وكتلة وسرعة القطع الأصلية، وتحصل هذه العملية الضوئية الشهابية على ارتفاع يقدر بنحو (٨٠ كيلو متراً) من سطح الأرض.

والشهب - على عمومها - ظاهرة كثيرة الحدوث والوقوع، فيقدر العلماء أنّ عدد الشهب التي تدخل جو الأرض تصل إلى مئات الملايين في الأربع والعشرين ساعة وإنّ ما يقارب العشرة آلاف طن من المادة الشهابية تصل إلى سطح الأرض في اليوم الواحد، لكنّها لا تشاهد؛ لأنها؛ تسقط على شكل جسيمات صغيرة تصعب ملاحظتها في الحياة الاعتيادية. ويعتقد العلماء أنّ تراكم هذه الكميات الكبيرة من المادة الشهابية على سطح الأرض قد يؤثر - في المدى البعيد - على سرعة دوران الأرض حول الشمس.

إن أصول الشهب - قبل احتكاكها بالجو - لا يمكن رؤيتها قبل وصولها إلى الغلاف الغازي الأرضي، لكنها حين تدخل جوّ الأرض تصبح أمراً واقعاً، تصبح أسهماً ضوئية لا يمكن تخطّيها.

والشهب تسقط منفردة واحدة واحدة، وتسقط أيضاً على شكل زخات شهبية، وهناك زخات أو انهمارات شهبية شهيرة تحدث كل سنة، وفي شهر محدد من السنة، منها شهب الأسد (leonids) الشهيرة وغيرها.



الشهب في القرآن ونهج البلاغة

ومن جملة ما أورد القرآن الكريم من مادة كونية: ظاهرة الشهب، أوردها صريحة واضحة (شهاب) أو (شهب)، وأوردها بما يدل عليها كـ: (الرجوم) و(الشواظ) أو من خلال سياق الآية: كما في آية: «وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ»[3] أو: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ»[4] على بعض التفاسير.

وكل ما ورد عن الشهب، أو ما يدل عليها لم يرد مفصلاً، وإنّما وردت هذه الظاهرة مادة علمية مجملة تنسجم وهدف القرآن الكريم، ومما ورد في الشهب قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ»[5].

والشهاب المبين هنا هو الشهاب السماوي الواضح، وهو مادة سماوية من مفردات علم الفلك الكثيرة.

ووردت آية أخرى وهي قوله تعالى: «إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ»[6]، والشهاب الثاقب هو الشهاب السماوي

المضيء الذي يثقب السماء بإضاءته القوية، يقول الفخر الرازي: (وقوله تعالى: «شِهَابٌ ثَاقِبٌ»، قال الحسن: ثاقب أي مضيء. وأقول: سمي ثاقباً؛ لأنه يثقب بنوره الهواء)[٧].

وهناك آية أخرى تؤكد أنّ السماء مليئة بالشهب، قال تعالى: «وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا»[٨].

وآية أخرى تذكر الشهاب موصوفاً بالرصد، قال عزّ وجلّ: «وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا»[٩].

فضلاً عن الآيات الصريحة يمكن أن نضيف إليها تلك التي ذكرتها بمعانيها أو أوصافها، كالرجوم التي ذكرتها الآية الشريفة: «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ»[١٠].

فالرجوم هنا تعني ما يرجم به، ذكر المفسر الفخر الرازي: (إنّ الرجوم جمع رجم، وهو مصدر سمي به ما يرجم به)[١١]، ويعني بذلك: الشهب السماوية. ويقول الفخر الرازي أيضاً: (يجوز أن ينفصل من الكواكب شعل ترمى الشياطين بها وتلك الشعل هي الشهب)[١٢].

وفي آية أخرى وردت كلمة: الشواظ بقوله تعالى: «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ»[١٣]. والشواظ كما يقول الفخر الرازي: (لهب النار وهو لسانه)[١٤]، والشواظ هنا تعني كتلة نارية ضوئية، وهي الشهاب كما يبدو.

وهناك آيات ومعانٍ أخرى تدل على هذه الظاهرة، ومن كل ما ذكرنا سواء الأسماء الصريحة ـ الشهب ـ أو معانيها يمكن أن نخرج بمحصلة أكيدة لظاهرة فلكية وردت واضحة صريحة في القرآن الكريم وإن كانت مجملة عامة.

وفي (نهج البلاغة) للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وردت كلمة شهاب والشهب بالاسم، ووردت بمعناها العلمي الدال على شعلة ضوئية نارية، ففي إحدى خطبه (عليه السلام) وصف النبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: «شهاب سطع نوره»[١٥]. وفي خطبة له وصف السماء وما فيها من أجرام وظواهر، ومن بينها الشهب الثواقب بقوله: «وأقام رصداً من الشّهب الثّواقب على نقابها»[١٦] أي الشهب ذات النور الذي يثقب الهواء ليصل إلى أهل الأرض.

وفي الخطبة نفسها قال الإمام علي (عليه السلام): «ورمى مسترقي السّمع بثواقب شهبها...»[١٧].

والنصان البلاغيان مستوحيان من الآيات التي تتحدث عن الشهب الثواقب، والتي تتبع شياطين الجن التي تسترق السمع المذكور آنفاً[١٨].

---

١ ـ لسان العرب: ٧ ـ ٢٢١، شهب.
٢ ـ لسان العرب: ٧ ـ ٢٢٢، مادة شهب.
٣ ـ الصافات: ٨.
٤ ـ النجم: ١.
٥ ـ الحجر: ١٦ ـ ١٨.
٦ ـ الصافات: ١٠.
٧ ـ التفسير الكبير: ٢٦ ـ ١٢٤.
٨ ـ الجن: ٨.
٩ ـ الجن: ٩.
١٠ ـ الملك: ٥.
١١ و١٢ ـ التفسير الكبير: ٣٠ ـ ٥٩.
١٣ ـ الرحمن: ٣٥.
١٤ ـ التفسير الكبير: ٢٩ ـ ١١٤.
١٥ ـ نهج البلاغة: الخطبة رقم ٩٤.
١٦ و١٧ ـ نهج البلاغة: الخطبة رقم ٩١.
١٨ ـ السماء والكون في القرآن الكريم ونهج البلاغة لعبد الأمير المؤمن: ٢٥١ ـ ٢٥٦.



